# تصدير

**أ.د. محمد عثمان الخشت**
رئيس جامعة القاهرة

على الرغم من تعمقي منذ الصغر في قراءة أعمال برتراند رسل التي يخشى قراؤها من الوقوع في الإلحاد، فإنني خرجت من عالم برتراند راسل أعمق إيمانًا، لكنه أصبح إيمانًا من نوع مختلف، إيمان متحرر من الأسطورة، ومتحرر من الوهم، ومتحرر من الخرافة. وهذه فائدة كبرى لا أزال أشعر أن رسل هو صاحب الفضل الأول فيها على الرغم من عدم إيمانه!

لقد عرفت برتراند رسل منذ كنت في المرحلة الإعدادية، ولعل هذه المعرفة هي التي عادلت تكويني العلمي؛ حيث كان تكوينًا قائمًا كله حتى هذه اللحظة على العلوم الشرعية، وعلوم التراث، وقد كانت بداية تعرفي عليه من خلال المفكر الهندي وحيد الدين خان، ثم رسالة الدكتوراه للدكتور محمد مهران رشوان رحمه الله والتي طبعتها دار المعارف التي أقبلت عليها بنهم، وأنا لا أزال في مطلع المرحلة الثانوية، ثم مؤلفات رسل نفسه التي ترجمت إلى اللغة العربية، وقد أخذتني سلاسة أسلوب رسل ووضوح أفكاره، وكان لمنهجه التحليلي النقدي أكبر أثر في مداومتي على قراءة أعماله، وبلغ بي الحال أني قرأت بعض مؤلفاته أكثر من ثلاث مرات. وإليه يرجع الفضل في تخليص عقلي من كثير من الأوهام عن الكون والحياة وتاريخ الأفكار.

ولا أحد يمكن أن ينكر أن لرسل فضلا في تخليص الفلسفة نفسها من كثير من أوهامها، وفي تحرير الميتافيزيقا من شطحاتها، وفي تقديم رؤية علمية للفلسفة، ليس هذا على مستوى تاريخ الفلسفة نفسه، ولكن أيضا على مستوى باحث صغير عن الحقيقة نشأ وترعرع بين العلوم الشرعية وعلماء الدين الكبار ومجالسهم العامرة في فترة من أصعب فترات تطور الفكري

المصري بين نهاية السبعينيات وبداية الثمانيانيات من القرن العشرين؛ حيث صعود الجماعات الأصولية بكل انغلاقها العقلي وأوهام الدوجما التي تسيطر عليها.

ثم إن عالم برتراند رسل السياسي والاجتماعي والأخلاقي، هو عالم مفتوح ورحب وحر، وهو عالم جدير بالدخول فيه ، سواء اختلفت معه أو اتفقت، ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب **«فلسفة الأخلاق عند برتراند رسل»** للباحث الشاب **د. سعيد على عبيد**.

وهو كتاب يبحر في كتابات «برتراند رسل» فى مجال المشكلة الخلقية والنظريات الأخلاقية Ethical Theories. وقد استطاع الباحث بكل اقتدار أن يوظف المنهج التحليلي النقدي المقارن، كما أجاب عن إشكاليات صعبة، مثل: إلى أى حد ميز رسل بين الماهية الأخلاقية كنظرية فلسفية وبين المشكلة الخلقية كفلسفة اجتماعية؟ و إلى أى حد تبنى رسل النفعية الأخلاقية كما كانت عند كل من: جيرمى بنتام وجون ستيوارت مل؟ و إلى أى حد كونت النظرية الحدسية عند رسل نظرية واضحة فى الأخلاق؟ وما هى طبيعة التوجهات الميتا أخلاقية فى فلسفته؟ وما العلاقة بين مفهوم الخير والصواب فى منطق التصورات الأخلاقية؟ ما هو مضمون السعادة فى فلسفة برتراند رسل الأخلاقية؟ وما هى معوقات السعادة فى الحياة الإنسانية؟ و إلى أى حد يمكن اعتبار السعادة الأساس الأول الذى تبنى عليه الحياة الكريمة؟

وأكثر ما يلفت نظري في هذا الكتاب بالإضافة إلى المنهج العلمي، وضوح أسلوب الباحث، وهي ميزة يفتقدها كثير من الباحثين في مجال الفلسفة. وقد رجع الباحث إلى أغلب مصادر رسل، و إلى العديد من المراجع المهمة حوله، وبصرف النظر عن الاختلاف مع الشخصية محل البحث، وأيضا بصرف النظر عن الاختلاف النسبي مع الباحث في الرؤية المنهجية والمعرفية، وبصرف النظر أيضا عن بعض الاختلاف في قاسم من التحليلات ووجهات النظر والمقارنات؛ فإن هذه الكتاب جدير بالقراءة والاقتناء، وهو بطاقة دخول إلى عالم من أروع عوالم الفلسفة، إنه عالم برتراند رسل.

**أ.د محمد عثمان الخشت**

رئيس جامعة القاهرة

18 أغسطس 2017م

# مقدمة المؤلف

يُعد الفيلسوف الإنجليزى المعاصر وعالم الرياضيات البارز برتراند رسل Bertrand Russell الذى ولد فى الثامن عشر من مايو لعام 1872م من أهم فلاسفة القرن العشرين، بل يمكن اعتباره من أهم فلاسفة الألفية الثانية على إطلاقها، نظرًا إلى الدور الكبير الذى لعبه فى ميدان المنطق وفلسفة الرياضيات، كما يُعد واحدًا من أهم الفلاسفة المعاصرين الذين مهدوا الطريق لفلاسفة الألفية الثالثة فى بحوثهم التحليلية عن فلسفة العلم وفلسفة اللغة، كما كان المرجع الرئيسى الذى أخذ منه كبار فلاسفة القرن العشرين بحوثهم ونظرياتهم اللغوية سواءً فى الفلسفة الأوربية أو الأمريكية على السواء، أو كما قال عنه - «ألفريد جولس آير»-: إنه ليس أعظم فلاسفة القرن العشرين فقط، بل هو أيضًا أعظم من مارسوا النقد الذاتى على مستوى كل العصور.

ومن هذا المنطلق اكتسبت فلسفة برتراند رسل مكانة مرموقة فى الفلسفة الغربية المعاصرة، وكانت شهرته الفكرية ناتجةً عن ارتباط اسمه بالجدل والقضايا الاجتماعية والسياسية، فكان رسل على هذه الكيفية شخصيةً عامةً، وموضوعًا مهمًا للصحافة والإعلام، حيث كتب فى العديد من المجالات بصورة لا نكاد نجدها عند أى فيلسوف معاصر آخر؛ فإذا كان قد كتب عن الرياضيات والمنطق، فإنه كتب عن الحرب والسلام، والحب والزواج. وإذا كان قد كتب عن الذرة والنسبية فإنه كتب أيضًا فى الأخلاق والجنس والتعليم، كما كتب أيضًا عن السعادة الإنسانية والسياسة الدولية، كما نشر العديد من الكتب والمقالات الفلسفية المتنوعة. وباختصار، فإن رسل لم يترك مجالاً من المجالات الفلسفية، أو العلمية التى تخدم أبناء الوطن فى القرن العشرين إلا وكان له الرأى فيه والتعليق عليه.

ومما يثير الدهشة والعجب فى فلسفة برتراند رسل أنه كتب فى جميع المجالات الفلسفية المتنوعة ولم يكتب ولو بحثًا صغيرًا فى مضمار علم الجمال وفلسفة الفن على الرغم من أنه

كتب العديد من البحوث والكتابات التى تخص نظرية القيمة وفلسفة الأخلاق؛ مما جعل بعض الفلاسفة يقومون بتطوير الكثير من نظرياته الفلسفية فى مختلف المجالات؛ حيث كانوا يقتبسون من آرائه وأفكاره فى بحوثهم لمجرد ذكر اسمه اللامع فى أعمالهم الفلسفية. وإن كانت كتاباتهِ بحقٍ تمثل نجاحًا باهرًا فى «العالم الفلسفى» الناطق باللغة الإنجليزية، إلا أن بعض كتاباته كانت بمثابة فضيحة أخلاقية كبيرة، حيث احتوت على آراء صريحة فى الأخلاق الجنسية - على حد تعبير - «جريلنج» Grayling فى مقدمة كتابه عن رسل.

ولكن مهما كانت نظرة الباحثين إلى اتجاه رسل الفلسفى والأخلاقى، إلا أننا لن نستطيع أن ننكر لهذا الفيلسوف الإنجليزى الكبير مكانته الهائلة فى مضمار الفكر العالمى المعاصر، فهو بحق إمام «التحليل المنطقى»، وداعية «الفلسفة العلمية»، وشيخ الفلاسفة المعاصرين، أو كما عبر عنه «جورج سانتيانا» بقوله «أنه فرنسيس بيكون القرن العشرين» الذى أراد للفلسفة أن تحقق من التقدم مثل ما أحرزه العلم، وأن تتخلى عن الكثير من المشكلات الميتافيزيقية الضخمة، لكى تقتصر على دراسة بعض المسائل المنطقية والطبيعية وفقًا للمنهج العلمى.

وعلى هذه الجدلية الفلسفية التى اتبعها رسل فى فكره ومنهجه، أصبح من أهم رواد الفلسفة التحليلية فى القرن العشرين حتى وافته المنية فى الثانى من فبراير عام 1970م، عن عمر يناهز الثامنة والتسعين، فكادت حياته تكمل قرنًا فلسفيًا من الزمان، وعليها لُقِبَ رسل بـ»شيخ الفلاسفة المعاصرين».

وعندما كانت فلسفة برتراند رسل تُشكل أهمية كبرى فى تكوين العقل الفلسفى المعاصر، آثرت أن تكون الدراسة منصبة فى النظريات الأخلاقية التى اتبعها رسل فى فلسفته، وعليها جاء موضوع الدراسة بعنوان: «فلسفة الأخلاق عند برتراند رسل».

وتكمن أهمية الدراسة فى أن - رسل - موضوع الدراسة يمثل أحد دعائم الفلسفة التحليلية المعاصرة بشكل خاص، بل والفلسفة الأوربية والأمريكية بشكل عام. كما يُعد أقوى متحدث باسم الروح الفلسفية فى العالم الناطق بالإنجليزية فى القرن العشرين، فلم يُحرز أحدٌ تقدمًا أعظم مما أحرزه رسل خارج حدود بلاده، فهو المفكر الإنجليزى الوحيد الذى أحرز شهرة دولية، وهو الوحيد الذى أصبح معروفًا فى جميع البلدان.

وعندما كان موضوع الدراسة يدور حول «فلسفة الأخلاق عند برتراند رسل»، فإن الأخلاق فى صورتها العامة تمثل صورة من صور البحث عن الحقيقة، كما أنها تصدر عن باعث عقلى هو الرغبة فى المعرفة الأخلاقية بوجه خاص، لذا كان لابد للدراسة أن تكشف عن أهمية كتابات «برتراند رسل» فى مجال المشكلة الخلقية Moral والنظريات الأخلاقية Ethical Theories.

**ولقد كانت هناك بعض الدوافع وراء اختيار هذه الدراسة وهى كالتالى:**

**أولاً:** يتمثل الهدف الأول فى جانبين، الجانب الأول قلة المؤلفات التى كتبت فى الفلسفة الأخلاقية ونظرية القيمة باللغة العربية، فعلى الرغم من كثرة المؤلفات والترجمات العربية حول الفلسفة العامة وفلسفات الوجود والسياسة والمنطق، إلا أننا لا نجد الكتابات الكافية أو الترجمات العربية حول النظريات الأخلاقية وفلسفة القيم. أما الجانب الثانى فهو على الرغم من الشهرة الفلسفية لـ«برتراند رسل» فى مجال المنطق وفلسفات اللغة والعلم والسياسة، إلا أن شهرته الأخلاقية فى الدراسات العربية لم تتعدَ كونه فيلسوفًا يبحث فى الأخلاق الاجتماعية من تربية وتعليم و إصلاح فى شتى مجالات الحياة، غاضين الطرف عن بحوثه وكتاباته التى تناولت بالتحليل النظريات الأخلاقية بوصفها نظرية ميتا أخلاقية تسعى إلى التنقيب والكشف عن منطق النقد الخلقى والتصورات الأخلاقية.

**ثانيًا:** تُعد فلسفة برتراند رسل الأخلاقية عبارة عن وحدة فلسفية مترامية الأطراف، حيث احتوت فى طياتها العديد من النظريات الأخلاقية التى اعتنقها رسل فى فلسفته، فهى فلسفة تكشف عن مدى الارتباط الوثيق بين رسل ومعاصريه من أصحاب النظريات الأخلاقية فى القرن العشرين.

**ثالثًا:** يمثل رسل مع صديقه «جورج إدوارد مور» أعظم فيلسوفين فى مدرسة كمبردج، حيث آمن كل منهما بالنزعة المثالية فى الفلسفة الألمانية عند «كانط» و«هيجل»، والتى كان يمثلها فى هذا الوقت «بوزانكيت» و«برادلى» و«ماكتجارت» إلى أن ثاروا عليها فى المقال الذى كتبه «جورج مور» «تهافت المثالية» الذى كان فاتحة التمرد على هذه المثالية وحجر الأساس فى الفلسفة «الواقعية الجديدة».

**رابعًا:** أن العلاقة الوطيدة بين «مور» و«رسل» لم تتوقف عند الثورة على المثالية الألمانية، حيث آمن رسل بالنظرية الحدسية فى مفهوم الخيرية كما كانت عند صديقه «مور» فى «البرنكيبيا الأخلاقية»، حتى تخلى عنها رسل تحت تأثير النقد الموجه من «جورج سانتيانا» فى «الأخلاق السكونية».

**خامسًا:** إن تبنى رسل للنظرية الإنفعالية بعد تخليه عن الحدسية المورية يبرهن على وجود الرغبة الذاتية كقاعدة راسخة فى كل فعل أخلاقى، فكانت النظرية الانفعالية عند رسل بمثابة حلقة الوصل بين كل من النظرية الحدسية والطبيعية الأخلاقية، وعليها يمكن القول أن رسل كان له السبق فى التصريح والقول بهذه النظرية قبيل كل من: «ألفريد جولس آير»، والفيلسوف الأمريكى «تشارلز ليزلى ستيفنسون» الذين يعدون الرواد الأول للانفعال اللغوى الأخلاقى.

**سادسًا:** تُعد النظرية الطبيعية فى الأخلاق هى النظرية التى تبناها رسل فى كتابه «المجتمع البشرى فى الأخلاق والسياسة»، وذلك بعد أن تخلى عن النظرية الانفعالية بعد ما يقرب من ثلاثين عامًا، ليبحث فيها عن أخلاق واقعية تقوم على أسس حقيقية من خلال مناهج أقرب ما تكون إلى الموضوعية العلمية كما كان عند الفلاسفة الأمريكان أمثال «جون ديوى»، «جورج سانتيانا»، «رالف بارتون بيرى»، «كلارنس إرفنج لويس».

**سابعًا:** إن الأخلاق التطبيقية فى فلسفة برتراند رسل تكمن فى «الزواج والأخلاق» حيث بنى رؤيته الأخلاقية من خلال التجربة الحياتية المعيشة، حيث حاول رسل أن يجد حلولاً للمشكلات المتعلقة بالجنس، مثل المشكلة الدينية، ومشكلة الحب، فرأى أن الجهل بالجنس من الأمور الخطيرة، لذا نصح رسل بضرورة أن يهتم الآباء والآمهات بتعليم صغارهم حقيقة الجنس وأخلاقياته.

**ثامنًا:** إن استبعاد رسل للدين جعله يقع تحت وهم «اللا أدرية الدينية» فى كتابه «لماذا لست مسيحيًا»؟ حيث رأى أن الدين يبعث على الخوف، كما أن الدين يعوق الإنسان من الحصول على السعادة فى الزواج، وبالتالى يتشابه رسل مع الفيلسوف الألمانى «نيتشه» عندما رأى أن المسيحية هى العدو الأكبر للحياة، وهى الداعية إلى أخلاق العبيد.

**تاسعًا:** لقد بدأ رسل فى تحليله لأخلاقيات السعادة من الأفكار اليونانية القديمة فى كون الإنسان يسعى فى حياته إلى الأمور الخيرة التى تسبب له الراحة والطمأنينة، مثل الصحة والحب والعمل الشيق، كما يبتعد عن الأمور التى تجعله يشعر بالكآبة والتعاسة، مثل الحقد والحسد والمرض وغيرها.

## المنهج المستخدم

إن الدراسة بحكم طبيعتها تستخدم المنهج التحليلي النقدي المقارن، وهو ما يناسب فلسفة الأخلاق عند برتراند رسل، لأننا سوف نتطرق لتحليل آرائه فى كل نظرية أخلاقية تبناها رسل ثم عدل عنها، وهو منهج نقدى لأننا سوف نتتبع آراء رسل بصورة نقدية فى فلسفة الأخلاق، وأيضًا موقف رسل النقدي من الفلاسفة المعاصرين فى فلسفة الأخلاق، ومقارنة ذلك بفلسفة الأخلاق فى نسقها العام من ناحية وآراء الفلاسفة المعاصرين من ناحية أخرى. بالإضافة إلى ذلك وضعت الدراسة على عاتقها حل الإشكاليات المتعلقة بفلسفة الأخلاق عند برتراند رسل وهى على النحو الآتي:

**أولاً:** إلى أى حد تعد فلسفة برتراند رسل فلسفة واقعية؟ بمعنى هل شكلت النزعة الواقعية حيزًا شاسعًا فى فلسفته الأخلاقية؟ أم اتخذت فلسفته الأخلاقية منحًا آخر من الاتجاهات الفلسفية المتعددة؟

**ثانيًا:** إلى أى حد ميز رسل بين الماهية الأخلاقية كنظرية فلسفية وبين المشكلة الخلقية كفلسفة اجتماعية؟ و إلى أى حد تبنى رسل النفعية الأخلاقية كما كانت عند كل من: جيرمى بنتام وجون ستيوارت مل؟

**ثالثًا:** إلى أى حد كونت النظرية الحدسية عند رسل نظرية واضحة فى الأخلاق؟ وما هى طبيعة التوجهات الميتا أخلاقية فى فلسفته؟ وما العلاقة بين مفهوم الخير والصواب فى منطق التصورات الأخلاقية؟

**رابعًا:** ما الموقف الذى جعل «سانتيانا» يسخر من نظرية رسل الحدسية ويهاجم تصوره للخيرية؟ و إلى أى حد قبل رسل انتقادات سانتيانا فى الأخلاق السكونية؟

**خامسًا:** إلى أى حد شكلت النظرية الانفعالية نظرية واضحة بذاتها فى فلسفة الأخلاق؟ وما هى طبيعة الرغبة فى الذاتية الانفعالية؟ و إلى أى حد جاءت نظرية الرغبة مبنية على أسس تحليلية نقدية، أى منهجية التصورات الميتا أخلاقية؟

**سادسًا:** إلى أى حد تبنى رسل النظرية الطبيعية فى الأخلاق؟ وهل جاءت نظريته قائمة على أسس واقعية كما كانت عند جون ديوى وكلارنس ارفنج لويس؟ وهل كانت نظرية رسل فى الطبيعية الأخلاقية موضوعية الطابع أم لا؟

**سابعًا:** ما هو مضمون السعادة فى فلسفة برتراند رسل الأخلاقية؟ وما هى معوقات السعادة فى الحياة الإنسانية؟ و إلى أى حد يمكن اعتبار السعادة الأساس الأول الذى تبنى عليه الحياة الكريمة؟

**ثامنًا:** إلى أى حد فهم رسل الزواج فى كتابه «الزواج والأخلاق»؟ و إلى أى حد بلوّر رسل رؤيته تجاه الدين؟ ولماذا رآه من معوقات السعادة فى الزواج الناجح؟

وعلى غرار هذه الإشكاليات قسمت الدراسة فى هذا الكتاب إلى مقدمة وثمانية فصول، ثم أتبعت الدراسة بخاتمة متضمنة أهم نتائج البحث.

ولا أنسى أن أعترف بفضل أستاذين عظيمين هما: الأستاذ الدكتور: محمد مهران رشوان. الذى كان - رحمه الله - يحمل بين ضلوعه قلبًا يكاد يسع الكون كله، فقد حرمني القدر من متعة الجلوس بين ناظريه فى مناقشة هذه الرسالة للدكتوراه، فقد وافته المنية وأنا استخلص نتائج الدراسة « فرحمة الله له، ورحمة الله عليه، ورحمة الله معه فى الدارين، ولا أملك الآن إلا أن أقول فيك...

فطوبى لمثوى ضمَّ النورَ والتقوى، وَمَا أَذْكى تُرْباً دَونه المِسْك الذكيُّ، ولنا أن يغرِّدُ البكاءُ الشقيّ بين روحهِ واسمهِ لا عليهِ و إنما عَلَيّ:

**إلى بدْءِ الرِّجَالِ، إلَى الخِتَامِ ... إلَى الإنْسَانِ مِنْ كُلِّ الأنامِ**
**إلَى أَبَتِي، وأسْتَاذِي وشَيْخِي، ... إلَى رُوحِي فَديتكَ من حِمَامِ**
**إليكَ «مُحَمَّدٍ مَهْرَانَ رَشْوَا ... ن» أستاذِ الفَلاسِفَةِ العِظَامِ**

إِلَى المَنْطِقِ والأخلاق أوت ... إِلَى رَبِّ القَصَائِدِ والكَلامِ
فـ «آه يا زماني» بَعْد شَيخِي ... يتيماً - صِرْتُ - مِنْ قَبْلِ الفِطَامِ
إِلَيكَ وأنتَ في الفِرْدَوسِ مَلْكٌ ... فُؤَادِي، مُهْجَتِي، عُمْرِي، سَلاَمِي
سَلاَمُ اللهِ مَا قَدْ ضَاءَ نَجْمٌ ... إليكَ، عَلَيكَ يَا تِمَّ التَّمَامِ

كما أشكر أستاذي الحبيب الأستاذ الدكتور محمد مدين الذى كان معي بعقله وقلبه فى كل خطوة من خطوات البحث، وقد كانت إرشاداته ونصائحه فى بداية البحث دعوة للسير فى الطريق الصحيح، حتى تم إنجاز هذه الرسالة، وتقدمت بها للحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب من جامعة جنوب الوادى، تحت عنوان «فلسفة الأخلاق عند برتراند رسل»، وحصلت فيها على تقدير» مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة على نفقة الجامعة وتبادلها بين الجامعات المصرية والعربية» .

و إني لأرجو فى النهاية أن يحقق هذا الكتاب الغرض الذى وضع من أجله، وهو محاولة فهم فلسفة رسل الأخلاقية ومنهجه فهمًا صحيحًا يقوم على وضع التطور الفكري فى حياته موضع الاعتبار، حتى نستطيع أن نضع الرجل فى موضعه الصحيح، ونقرأه بعيون منصفة و بعقل منصف لعل ذلك يعيننا فى فهم فلسفة هذا الفيلسوف الإنجليزى الثائر.

**وعلى الله قصد السبيل.**

**د. سعيد على عبيد**
قنا فى 6 أكتوبر 2016م.